

ابن ابى الحدید فی المیزان

سید خلیل باستان *

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على اشرف الانبياء و المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين، و اللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين.

الخلاصة:

لقد انشغلت افکار العلماء في شرح ابن ابی الحدید منذ عصور عديدة، منهم من نقد الكتاب ادبیاً، و منهم من نقده فکریاً، و منهم من نقده دینیاً، و منهم... فكانت النتائج متضاربة بين موافقین له و مخالفین، و اشتَدَ الصراع بينهم حتى ضاع الحق.

و من المسائل الخلافية بين العلماء لهذا الشخصية الادبية الفذة في عقيدته المذهبية. لقد سعينا في هذه المقالة الوقوف على الآراء المختلفة للعلماء في هذا الباب، و من ثمّ نطالب القضاء له أو عليه من قبل القراء الكرام، بعيدین كل البعد من العصبية العمیاء، سائلین المولى ان یقبل عملنا هذا باحسن القبول.

مفتاح الكلمات : الاعزال / التشیع / التسنن.



المقدمة :

اما بعد فلقد تضارب الآراء بين العلماء حول عقيدة ابن ابی الحدید المذهبية، فمنهم من حكم عليه بالاعزال، و منهم من ذهب الى انه شیعی، و منهم من ذهب الى انه سُنّی.
و ما هذا الاختلاف الاّ من عقائد المعتزلة انفسهم، لأنهم تارة يميلون الى الشیعة في افکارهم و أخرى الى اهل السنة، و سنتف بوضوح على ما قلنا في افکار ابن ابی الحدید خاصة، و من ثمّ

* - استاد مساعد في جامعة العلامه الطباطبائي، كلية الآداب، طهران.

نطلب من القارى الكريم ان يحكم عليه بالتشيع او التسنن او بالأخذ الوسط بينهما.

الكلام في مذهب المعتزلى :

قبل المخوض في الحديث عن المعتزلة، لابدّ ان نقف على علة ظهور الحياد بين علمائهم، حيث اتخذ المعتزلة و المتصوّفة الحياد ذريعة للفرار عن المسؤولية، فالاولى اتخذت التوقف في الآراء اساساً لها في الرؤى السياسية، والثانية اتخذت الزوابيا ذريعة للفرار من الزحف ايام الحملة الصليبية، فانتشرت في بقاع المسلمين بسرعة. و الان لننظر الى ما قاله ساحة العلامة المدرسي في هذا الشأن : «ان المعتزلة تهرب من مشكلة تاريخية. الا و هو تعين الخلف الشرعي للنبي ﷺ و التي كانت تعنى في ذلك العصر تهربهم من قضايا الشورة، الشورة التي يقودها اهل بيت الرسول ﷺ دافعاً عن الرسالة الاليمه و عن المحرمين، اذ نقل عن واصل انه علق الحكم في هذا الباب على اساس الافتقار الى البيانات الكافية »^(١)

ثم لننظر الى قول الدكتور احمد حوفي في هذا الباب حيث يقول : «كان لهذه الكلمة (الاعزال) اداً معنى سياسي خاص، هو الابتعاد عن الصراع الناشب بين علىٰ و خصومه، و الاستمساك بالحيدة العملية و القولية في هذا الصراع، فلاهم ينادرون فريقاً على فريق خوفاً من الزحف و القتل و الموت و التشريد، تقاعساً و تناقاً الى الارض و تبريراً للمواقف التي اتخذوها، و ستراً للمقام الشاخص الذي كان عندهم لدى الناس»^(٢)

واما الحديث عن مذهب المعتزلى فينقسم البحث الى قسمين، الاول : رأيهُ الصریح في الاعزال، و الثاني : رأى العلماء في هذا المجال.

المتصفح لشرحه في نهج البلاغة سيرى ان ابن ابي الحديد يذكر مادحاً زعماء المعتزلة، معتزاً بهم، شارحاً لا قوالم ذاكراً لمواقفهم المذهبية و آرائهم العقائدية، فهو يكثر من ذكر الشیخین ابی على و ابی القاسم كما في (ج ١: ١٢٣) و يذكر الشیخ ابی عثمان الجاظ (ج ٣: ٤٥٩ و ١٩٩) و (ج ٢: ٤٢٤)، و ان لم يكن يتلذذ عليه، و كذلك الشیخ عمر بن عبد الله الدباس (ج ٢: ٢٩٣:٤)،

١ - العرفان الاسلامي / محمد تقي المدرسي / ايران / المركز الثقافي الاسلامي / ١٤٠٥ / ص ٤١.

٢ - تاريخ الادب السياسي / احمد حوفي / ص ١٣٩.

الشيخ ابا عبدالله (ج ٣ : ٤٥)، و الشيخ ابا الحسين (ج ٣ : ٢٤٨)، و الشيخ اباالمذيل (ج ٤ : ٢٤٨) و الشيخ ابا جعفر يحيى ابن زيد (ج ٤ : ٤٧٧)، و الشيخ ابا جعفر الاسكافى (ج ٤ : ١٥٩)، و الشيخ ابا الخير مصدق بن شبيب الواسطى، و الشيخ ابا هاشم (ج ٣ : ١٩٥)، و آخرون، فالاستشهاد بهؤلاء الشيوخ و الترجم عليهم، و نقل افكارهم و آرائهم مباشرة ماهى الا الانتاء الى المعزوله. و من جانب آخر يصرح برأيه في اشعاره قائلاً :

أهوى لاجلك كل من يتسبّع ^(١)
و رأيُتْ دِينَ الاعْتَزَالِ وَ اَنْفِي
او يقول في موطن آخر :

احب الاعتزال و ناصريه ذوى الالباب و النظر الدقيق

و اهل العدل و التوحيد أهلى نعم و فريقهم ابداً فريق ^(٢)

و اما القسم الثاني فلنذكر اقوال بعض العلماء فيه، منهم الشيخ ابوالفضل عبد الرزاق بن ابي المعالى الشيبانى الذى يقول فيه: «كان... عارفاً باصول الكلام، يذهب مذهب المعزوله» ^(٣). و منهم محمد ابوالفضل ابراهيم الذى يقول عنه: «اصطنع مذهب الاعتزال و على اساسه جادل و ناظر و حاج و نقش، و في شرح النهج و كثير من كتبه آراء منشورة مما ذهب اليه» ^(٤). و منهم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب الذى يقول في كتابه مصادر نهج البلاغه ج ١ : ٢١١ : «شرح نهج البلاغه، و ألفه علامه المعتزلة الفاضل عزال الدين عبد الحميد بن محمد بن ابي الحميد المدائنى». 

الكلام في تشيعه :

الحديث يدور على محورين، ما جاء على لسانه في الشرح و القرائن الموجودة، و الآخر ما قالته علماء الشيعة في حقه.

١- الاراء الادبية و النقدية / ص ٥٦

٢- الشعر العربي في العراق ص ٢٤٤

٣- ادب الطف / جواد شبر - ج ٤ : ٥٧

٤- شرح نهج البلاغه / تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ج ١ : ١٤، ولكن هذا المحقق ينافق نفسه قائلاً: انه ولد بالمدائى... و كان الغالب على اهل المدائى التشيع.

اما المحور الاول : فالذى يطابع الشرح سيرى التعبير المألف لدى الشيعة عند ذكر الامام على عائشة هو «الامام على امير المؤمنين عائشة»، فلم يعدل ابن ابى الحميد عن هذا النعت ابداً، و ثم لم ينعته بما تنعته السنة بـ (كرم الله وجهه). و ترى موقفه من الامام على عائشة في اشعاره التالية :

- ١ - عَلَى امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَعِيمِ
وَقَائِدِهِ نَسْرُ الْمُفَازَةِ وَالَّذِي
اِذَا قَيِّسَ عَدَّاً بِالثَّرِيِّ كَانَ اكْثَرَ
فِي اُحَدٍ قَدْ فَرَّ خَوْفًا وَخَيْرًا
الْجَبَتِيِّ فِيكَ الْبَطِينَ الْانْزَعَ
فِي الْعَالَمَيْنِ وَشَافِعَ وَمَشْفَعَ
وَهُوَ الْمَلَادُ لَنَا غَدَّاً وَالْمَفْزَعَ^(١)
نَسَادِ لَامْلَاكِ اسْمَاءِ مَحْفَلَ
وَمَعْظَمٌ وَمَكْبُرٌ وَمَهْلَلٌ
نَصَّاً بِهِ نَطْقُ الْكِتَابِ الْمَنْزَلَ
مَنْصُوصَةً عَنْ جَيْدِ بَجْدَكَ مَعْدَلَ
لِلَّذِينَ بِهَا قَدْ كَنْتَ مِنْ يُحِبُّهُ
وَمَا يَعْنِيُ الا رَضَاهُ وَقَرْبَهُ^(٢)

ذَرْ
وَدْ
بَدْ
وَبْ
بَدْ



يكفيانا هذا المقدار من الشواهد على تشيعه من خلال اشعاره، فالاعتراف بالخلافة لعائشة الذي نصّ به القرآن الكريم يوم الغدير، والذى يعد محور الخلاف بين الشيعة والسنّة، اما يدل على تمسكه بالتشيع، بل يذهب أبعد من ذلك و يجزم قاطعاً و يفرض محالاً ان لم يكن هناك نصاً من القرآن فلا يمكن العدول عن ابى الحسن عائشة. ثم انك تجد قد استخدم المصطلحات المتداولة عند الشيعة من اعطائه عائشة لقب امير المؤمنين، و انه قاتل الكفرة و الفجرة امثال ابى سفيان، و انه هو الوصيّ الختار، و انه سيكون غداً قسيماً الجنة و النار، ... و ... هذه البيانات الصرحة القاطعة تدلّ جميعها على تشيعه.

١ - تجد هذه الابيات فى رسالة الدكتوراه «الاراء الارية والنقدية»، ص ٣٥٠ - ٣٩٥.

٢ - تجد هذه الاشعار فى الاراء الادبية و النقدية ص ٥٨.

ثم انظر الى كلامه في ج ٤ : ٥٧٤، حيث يقول : «واستشفع اليه - الامام على عليه السلام - بن
أنصبت جسدي، وأسهرت عيني، وأعملت فكري، واستغرقت طائفة من عمري في شرح
كلامه، والتقرب الى الله بتعظيم منزلته و مقامه» فطلب الشفاعة من آل البيت عليهما السلام والتقرب بهم
الى الله من عقائد الشيعة خاصةً.

ثم انظر الى قوله كيف يشيد ب ايام خلافة الامام على علیه السلام ، حيث يقول في ج ١: ٥٧٤ « فتم تصنيفه (شرح نهج البلاغة) في مدة قدرها اربع سنين و ثانية أشهر...، و هو مقدار مدة خلافة امير المؤمنين علیه السلام ». فانظر يا اخي القارئ كيف يقارن بين فترة تأليفه لشرح نهج البلاغة و بين مدة خلافة الامام على علیه السلام ، فقلما يخطر هذا الموضوع على قلب احد ، الا من كان محباً موالي امير المؤمنين علیه السلام .

ثم انظر كلامه في ج ١ : ٤٧، كيف ينظر الى ابى طالب؟ وكيف يثبت له الحق على الاسلام ! حيث يقول : «و اعلم ان علیاً عليه السلام ، كان يدعى التقدم على الكل ، والشرف على الكل ، والنعمة على الكل بابن عممه عليه السلام ، وبنفسه و بابيه ابى طالب عليه السلام ، فانّ من قرأ علوم السير ، عرف ان الاسلام لولا ابوطالب لم يكن شيئاً مذكوراً . وليس لقائل ان يقول كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى باظهاره ، سواء كان ابوطالب موجوداً او معذوماً ؟ لأنّا نقول فينبغي على هذا أن لا يمدح رسول الله صلوات الله عليه وسلم ولا يقال انه هدى الناس من الضلاله و انتدتهم من الجهله ... و هؤلاء آلة مستعملة ، و وسائل تجرى الافعال على ايديها ، فحمدهم و الثناء عليهم و الاعتراف لهم انا هو باعتبار ذلك قيل لكم في شأن ابى طالب».

ثم انظر الى كلامه في ج ١٠، كيف يمدح ابطاله و يشيد بمقامه عند رسول الله ﷺ حيث يقول : «و ابوطالب هو الذى كفل رسول الله ﷺ صغيراً و حماه و حاطه كبيراً، و منعه من مشركي قريش ولقى عنتاً عظيماً، و قاسى بلاء شديداً، و صبر على نصره و القيام بامرها. و جاء في الخبر انه لما توفى ابوطالب أوحى اليه ﷺ و قيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك». و اما القرائن التي تدل على تشيعه فهى موطنها، حيث اتخذ ابن ابي الحميد في حياته موطنين له. احدهما مسقط رأسه، ألا و هو المدائن التي يقول عنها محمد ابوالفضل ابراهيم : «و كان الغالب

على اهلها التشيع، فسار في دربهم و تقبّل مذهبهم و نظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع»^(١)
و الثاني الكرخ، و ذلك لما أكمل ابن أبي الحديد دراسته في المدائن قصد بغداد و اتخذ الكرخ مقاماً
له، و المعروف عن الكرخ أنها محلة للشيعة، و الرصافة التي تقابلها محلة لأهل السنة، و لابن أبي
الحديد شعر يخاطب الكرخ قائلاً:

وسقي شراك من الرواعد مسبل
كرهاً فقلبي قاطن لا يرحل «^(٢)
«يا كرخ جاء عليك مدرار الحيا
ان كان جسمى عنك أصبح راحلاً
نكتفى بهذا المقدار من الكلام خوف الاطالة.

و اما المحور الثاني، فهو موقف علماء الشيعة بالنسبة الى ابن أبي الحديد. فقد اختلف علماء
الشيعة في موقفهم بالنسبة لابن أبي الحديد على اقوال ثلاثة، فنفهم من يجزم القول في تشيعه، و
منهم من يتردد، و منهم من جعله من اعداء الشيعة.

و اما المناصرون له فنفهم ابن العلقمي^(٣) يقول صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة ج ٢١٣: ١: «لما وقعت حادثة المغول أخذوا ابن أبي الحديد، وأخاه موفق الدين و ارادوا قتلها، فسعى ابن العلقمي في خلاصهما، و تشفع إليهم بنصير الدين الطوسي، فخلوا عنها، فأقبل ابن أبي الحديد يشكر ابن العلقمي على حسن فعله، فقال ابن العلقمي : و الله لو افتديتكم ب النفس لكان ذلك
قليلًا، لأنك خلدت اسمى في كتابك» .

و منهم صاحب روضات الجنات الذي يقول في حقه جازماً : «ابن أبي الحديد الحكم الاصولي
المعذلي، صاحب شرح نهج البلاغة المشهور، وهو من اكابر الفضلاء و المتبعين، و أعاظم النبلاء
المتحيرين، مواليًا لأهل العصمة و الطهارة، و ان كان في زى أهل السنة و الجماعة، منصفاً غاية
الانصاف في المحاكمة بين الفريقيين و معتراً في ذلك المصالف بان الحق يدور مع والد الحسينين، و
هو بين علماء العامة بمنزلة عمر بن عبدالعزيز الاموى بين خلفائهم، فكما ورد في حديث الشيعة
انه يحيى يوم القيمة امة واحدة، فكذلك يبعث هذا الرجل ان شاء الله بهيئة على حدٍ، و حسب

١ - شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ج ١: ٤٠٩ . ٢ - الاراء الادبية و النقدية ص ١٤ .

٣ - المعروف عن ابن العلقمي انه كان من فضلاء الشيعة و اعيانهم، و كان يحب الادب و العلم و انه كان صاحب دهاء و ذكاء.

الدلالة على علو منزلته في الدين و علوه في ولاية امير المؤمنين...»^(١)
و منهم الطريحي الذى يقول في حقه : «قال بعض الافضل : كان ذلك (اعتزاله) قبل رجوعه
إلى الحق، لأننا نشهد من كلامه الاقرار له عليهما السلام والتبرّى من غيره، من تقدم عليه (الامام
علي عليهما السلام) و ذلك قرينة واضحة على ما قلناه»^(٢)

و اما المترددون فيه، فنهم الشيخ الصدوق، فإنه لا يجزم تشيعه، حيث يقول : ان رأى ابن ابي
الحديد كان رأى الحكمة، والله أعلم بباطن امره، و حشره الله مع من أحبه.
و اما المخالفون له، فهناك طائفة من علماء الشيعة ترفض تشيعه رفضاً تاماً، منهم السيد عبد
الزهراء صاحب مصادر نهج البلاغة الذي يقول : «و يعدّ ابن ابي الحديد من خصوم الشيعة و
أشد مناوئيهم رغم ما يظهر من حبه لعلي عليهما السلام و اظهار تفضيله» و يستمر قائلاً : «و رأيت بخط
الامام المرحوم كاشف الغطاء على ظهر المجلد الاول من الشرح من الطبعة ذات المجلدين المطبوعة
على الحجر في ايران الموجودة في مكتتبته العامة الشهيرة في النجف الاشرف ما معناه : (نعم المؤلف
لولا عناد المؤلف)، فتأمل هذه العبارة من هذا المطلع المتبع ،لتعرف ان هؤلاء الذين نسبوا ابن ابي
الحديد الى التشيع على جانب من الخطأ عظيم» و يضى صاحب مصادر نهج البلاغة قائلاً : «و
سمعت المرحوم الثقة السيد كاظم الحسيني الحطيب، ينقل عن الامام الشيخ محمد طه نجف قدس
سره انه قال : لو أوقف خصوم أمير المؤمنين عليهما السلام، بين يدي الله، ما استطاعوا ان يعتذروا عن
انفسهم كما اعتذر عنهم ابن ابي الحديد».^(٣)

آرائه الشيعية :

المتصفح لشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد و مؤلفاته الاخرى يواجه افكاراً قربية الى التشيع
و هي كثيرة، نذكر منها :

١ - ولادة الامام على عليهما السلام : جعل ابن ابي الحديد يوم ولادة امير المؤمنين عليهما السلام ضمن

١- روضات الجنات، خوانساری ج ٥: ١٩.

٢- مجمع البحرين الطريحي، ص ١٩٣، ياليته ذكر لنا بعض هذه القرائن.

٣- مصادر نهج البلاغة ج ١: ٢١٧، ليت الشيخ محمد طه نجف ذكر لنا بعض الشواهد.

التاريخ الاسلامي، حيث صرّح بذلك صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه في ج ١: ٢١٥، حيث قال :

«و يروى (ابن ابي الحديد) الى المصادر الصحيحة التي كانت بحوزته انه ﷺ، مكث قبل الرسالة سنين عشرة يسمع الصوت و يرى الضوء، ولا يخاطبه احد، و كان ذلك ارهاصاً لرسالته ﷺ فحكم تلك السنين العشرة حكم ايام رسالته، و معنى ذلك تقليص ايام الجاهلية عشر سنوات أخرى و ادخال يوم ولادة الامام على عائشة في العهد الاسلامي لا الجاهلي الوثنى».

٢ - اسلام الامام على عائشة : يقول ابن ابي الحديد في ج ١: ١٠: «و في حديث عفيف الكندى لما رأى النبي ﷺ يصلى في مبدأ الدعوة و معه غلام و امرأة، قال : فقلت للعباس: أى شيءٍ هذا ؟ قال : هذا ابن اخي يزعم انه رسول من الله الى الناس، و لم يتبعه على قوله الاً هذا الغلام (١) و هو ابن اخي أيضاً، و هذه الامرأة و هي زوجته».

٣ - ايمان الامام على عائشة بالله تعالى وبالرسول ﷺ : يقول ابن ابي الحديد في ج ١: ١٠: «و ما اقول في رجل سبق (٢) الناس الى المهدى، و آمن بالله و عبده، و كل من في الارض يعبد الحجر (٣)، و يجحد الخالق ، لم يسبقه احد الى التوحيد الا الساقى الى كل خير محمد ﷺ». و يستمر قائلاً : «ذهب اكثراً اهل الحديث الى انه عائشة، اول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ، و ايماناً به، و لم يخالف في ذلك الا القلون. و قد قال هو عائشة : انا الصديق الاكبر و انا الفاروق الاول، اسلمت قبل اسلام الناس و صيلت قبل صلاتهم».

٤ - من فضائل الامام على عائشة : يقول ابن ابي الحديد في هذا المجال : ج ١: ١٠: «انه ابن عم محمد سيد الاولين و الآخرين، و أخاه جعفر ذو الجناحين الذي قال له رسول الله ﷺ: اشهدت خلق و خلق، فرّ يحجل فرحاً، و زوجته سيدة نساء العالمين، و ابنيه سيداشباب أهل الجنة، فآباؤه آباء رسول الله، و امهاته امهات رسول الله، و هو مسوط بلحمه و دمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم الى ان مات عبدالمطلب بين الاخوين عبدالله و ابي طالب، و أمها واحدة، فكان منها سيداً الناس، هذا الاول و هذا التالي، و هذا المذدر و هذا المادى».

١ - خلافاً لبعض الفرق الاسلامية التي لا تعتبر اسلامه عائشة فضيلة، لأنه لم يبلغ التكليف الشرعي، والحال ان القرآن الكريم يشيد بامان الرضيع عيسى بن مریم عائشة.

٢ - يعد السبق الى اليمان بالله من اكبر الفضائل، حيث مدحهم الباري يقوله : و السابعون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم (الواقعة / ١٠ - ١٢).

٥ - موقف الامام على عليه السلام من عثمان : يرى ابن ابي الحميد ما تراه الشيعة، بانه عليه السلام بريء من دم عثمان حيث يقول في ج ١ : ٦٧ : «والذى نقول نحن انها و ان كانت احداثاً، الا انها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه (عثمان)، وقد كان الواجب عليهم ان يخلعوه من الخلافة، حيث لم يستصلحوه لها، ولا يعجلوا بقتله ، و امير المؤمنين عليه السلام أبداً الناس من دمه، وقد صرخ بذلك في كثير من كلامه، و من ذلك قوله عليه السلام : والله ما قتلت عثمان ولا مالات (ساعيت) على قتله، و صدق صلوات الله عليه».

٦ - الامام على عليه السلام وصي رسول الله عليه وآله وسنته : يقول ابن ابي الحميد في ج ١: ١٣٥، «الامامية يقولون: ان الرسول عليه وآله وسنته نصّ على امير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً ليس بنص يوم العدیر، ولا خبر المنزلة، ولا ما شاهدهما من الاخبار ... ولكن قد يسبق الى النقوص و العقول، انه قد كان هناك تعريض و تلويع و كناية و قول غير صريح، و حكم غير مبثوت (مقطوع). و لعله عليه وآله وسنته كان يصدّه عن التصرّح بذلك أمر يعلمه، و مصلحة يراعيها، او وقوف مع اذن الله تعالى في ذلك».

٧ - رأيه في عمر : يقول ابن ابي الحميد في ج ١: ٥٨: «و عمر هو الذي شيد بيعة ابي بكر و رقم (١) المخالفين فيها، فكسر سيف الزبیر لما جرده و دفع في صدر المقاداد، و وطى في سقیفة سعد بن عبادة و قالا : اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، و حطم انف الخطاب بن المنذر الذي قال يوم السقیفة انا جذيلها المحک، و عذیقها المرجب، و توعد من جاء الى دار فاطمة عليه السلام من الهاشیین، و أخرجهم منها، ولو لاهم لم يثبت لابي بكر امر، ولا قامت له قائمة».

آرائه السنیة :

و انتَ لتجد ابن ابي الحميد احياناً أخرى يقطع القول جازماً كما تراه اهل السنة، و خاصة في امر الخلافة، فنذكر منها :

- ١ - خلافة ابي بكر : يقول ابن ابي الحميد في ج ١: ٣: «اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله - المتقدمون منهم و المتأخر و البصريون و البغداديون - على ان بيعة ابي بكر الصديق

١ - أظنه تصحیف، والافضل : أرغم.

صحيحة شرعية، و أنها لم تكن عن نص، و اغا كانت بالاختيار^(١) الذى ثبت بالاجماع و غير الاجماع كونه طریقاً الى الامامة».

٢ - موقفه من عمر : قال الامام على عليه السلام في الخطبة ٢٢٨ من نهج البلاغة : لله بلاد فلان، فقد قوّم الاود...، يقول ابن ابي الحميد في ج ٣: ٩٢: «انه عليه السلام كفى بفلان عن عمر، و خصّص جزءاً باكمله في شرحه من ص ٩٢ إلى ١٨٠ ، لحياة عمر و ذكر فضائله و سياسته و... و.... علماً بان المفسرين اختلفوا في ان المراد بفلان هو عمر، ف منهم من قال ذلك كابن ابي الحميد الذي يقول : «و فلان المكفي عنه، عمر بن الخطاب، و قد وجدت النسخة التي بخط الرضي ابي الحسن، جامع نهج البلاغة، و تحت فلان عمر، حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الاديب الشاعر». ثم يستمر قائلاً : «و سألت عنه النقيب ابا جعفر يحيى بن ابي زيد العلوى، فقال لي : هو عمر، فقلت له : أيشنى عليه امير المؤمنين عليه السلام هذا الثناء ؟ فقال : نعم».

و منهم الشيخ محمد جواد مغنية صاحب كتاب في ظلال نهج البلاغة الذي يقول في شرحه ج ٣٣٠: «المراد بفلان ابى بكر و قيل عمر و هو الاشهر». و منهم السيد جمال الدين دين پرور الذي يقول في ترجمته: المراد الخليفة الثاني. و منهم فيض الاسلام الذي يقول في ترجمته: انها جاءت في حق عمر، ولكنها من باب التورية، ظاهره مدح و باطنه ذم، و بناءاً على هذا، ان هذا الكلام لا يخالف ما جاء في الخطبة الشقشيقية.

و هناك طائفة أخرى تختلف الذي ذكرناه، و ترى ان المراد بفلان اما مالك الاشتراط او سلمان الحمدى او احد اصحابه عليه السلام. فن هؤلاء السيد الشيرازى (ره) يقول في كتابه توضيح نهج البلاغة ج ٣: ٣٩٤، و جاء في صدر شرحه للخطبة : من كلام عليه السلام في مالك الاشتراط (ره)، بعد موته، ثم يذكر في نهاية التفسير قائلاً : و قد قال بعض اهل السنة ان المراد بفلان في كلام الامام عمر، و هذا خطأ، و كيف يجتمع هذا مع تضجره الشديد من عمر في خطبة الشقشيقية، مع العض عن سائر الامور التي ثبتت في التواريخ و السير. و منهم الرواوى كما صرّح بذلك ابن ابي الحميد في

١ - يشير ابن ابي الحميد في ج ١: ١٢٣ الى الاقوال المختلفة في كيفية بيعة الامام على عليه السلام لابى بكر، و منها ما قاله الواحدى فى روايته فى حكاية عمر : «والله لانا اقدم فانحر كما ينحر البعير أحّبُ الي من ان اتقدّم على ابى بكر». فكيف تمت الشرعية الصحيحة خلافة ابى بكر و على عليه السلام مكره؟

ج ٣: ٩٢، الذى يقول : انما ^ع مرح بعض اصحابه بحسن السيرة . و منهم الدكتور اسدالله المبشرى المترجم نهج البلاغة حيث يقول في ص ٩٠٧: المراد بفلان احد اصحاب ^ع. و منهم الشيخ محمد دشتي الذى يقول في ترجمته ص ٤٦٤: أنها قيلت في سلمان المحمدى ، و ذكر في الهاشم نقاً عن المرحوم السيد هبة الدين الشهريستاني : ان النسخة الخطية للسيد الشريف الرضى كانت بيد بنته الذى تتلمذت على يد عمّها السيد المرتضى، كان اسم سلمان المحمدى مكتوباً في اول هذه الخطبة، و ان هذا الكلام هو الصحيح...
فانا لا ندرى كيف قطع ابن ابى الحدين جازماً القول بان المراد بفلان عمر، و الحال كان من المفروض ان يتحقق في هذا المجال اكثراً ؟

الجمع بين التسنن و التشيع :

المحقق يرى في هذا الباب حالة التذبذب عند المعتزلة بين الطائفتين السننية و الشيعية، فتارة الى هؤلاء و أخرى الى هؤلاء.

و تجد هذا التذبذب خاصة عند ابن ابى الحدين، و الآن نستمع الى ابن ابى الحدين حيث يقول في ج ١: ٣: «و اختلوا (علماء المعتزلة) في التفضيل، فقال قدماء البصريين : ان ابا بكر أفضل من على ^ع، و هؤلاء يجعلون ترتيب الاربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، و قال البغداديون قاطبةً : ان علياً ^ع أفضل من ابوبكر، و اما نحن فنذهب الى ما يذهب اليه شيوخنا البغداديون من تفضيل ^ع». (١)

ثم يذكر آراء منفردة لبعض الشيوخ الذين عدلوا أخيراً الى أفضلية الامام على ^ع، ثم يضيف قائلاً: «و ذهب كثير من الشيوخ رحمة الله الى التوقف فيها».

فانظر الى شدة الخلاف المطروح بين علماء المعتزلة في امر الخلافة، فلا تقارب بينهما بل التنافر و التناقض حاكم عليها، اضافة الى موقف الحياد المطروح و هو مبنزلة الفرار عن المسؤولية، و بناءً على هذا تجد هذه الحالة موجودة عند ابن ابى الحدين، كما ترى ذلك بوضوح في اشعاره

التالية :

١ - وترى التناقض فى كلامه و اضحاً، حيث يقول فى المقدمة : الحمد لله الذى قدّم المفضول على الافضل.

اعظمهم يوم الفخار شرفا
بعل البطل المرتضى على
ثم عتيق بعدهم لا يُنكر
فاروق دين الله ذاك القسور
هذا هو الحق بغير مين.

و خير خلق الله بعد المصطفى
السيد المعلم الوصي
وابناه ثم حمزة و جعفر
المخلص الصديق ثم عمر
وبعده عثمان ذو التورين

فالجمع بين على عليهما السلام و ابنيه و حمزة و جعفر من جانب، وبين ابي بكر و عمر و عثمان من جانب آخر ما هو الا الجمجمة بين التسنين والتشيع، وهذا ما لا يحبذه الشيعة.

ثم انظر الى التناقض الواضح من خلال هذه العبارات: «الحمد لله الذي قدّم المفضول (ابا بكر) على الافضل (الامام على عليهما السلام) لصلاحة اقتضاه التكليف...»، ثم انظر الى قوله: « و اختص الافضل من جلائل المآثر و نفائس المفاسد بما يعظم عن التشبيه، و يجعل عن التكلف» (ج ٢ : ١)، و يستمر يقول: و «قد ذكرنا في كتابنا الكلامية : ما معنى الافضل ؟ و هل المراد به الاكثر ثواباً أم الأجمع لزوايا الفضل و الحال الحميّدة ؟ و بينما انه عليهما السلام أفضل على التفسيريين معاً» (ج ١ : ٣)، فالعجب من هذا الجرم القاطع، كيف ينافقه في مفتتح شرحه ؟

و من الموضوعات المختلفة عليها بين السنة والشيعة، احراق بيت فاطمة (س)، فيرى ابن ابي الحميد في (ج ١ : ٣)، انه : «لما جلس ابو بكر على المنبر، كان على عليهما السلام و الزبير و ناس من بنى هاشم في بيت فاطمة، فجاء عمر اليهم فقال: والذى نفسي بيده لتخربن الى البيعة او لأحرقن البيت عليكم، فخرج الزبير مصلتاً سيفه فاعتنته رجل من الانصار...»، ثم يذكر الروايتين التاليتين تأكيداً لما مرّ، «و اما الاولى فـإِنَّ سُعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصَ كَانَ مَعَهُمْ فِي بَيْتِ فَاطِمَةِ (س) وَ الْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِيْضًا وَ اَنْهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى اَنْ يَبَايِعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَتَاهُمْ عَمَرٌ لِيحرق عَلَيْهِمُ الْبَيْتِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزَّبِيرُ بِالسَّيْفِ وَ خَرَجَتْ فَاطِمَةُ (س) تَبْكِي وَ تَصْبِحُ... وَ اَمَّا الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ فَعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَأَلَ أَبُو بَكْرَ فَقَالَ اِنَّ الزَّبِيرَ؟ فَقَيْلَ عَنْهُ عَلِيٌّ، وَ قَدْ تَقْدَدَ سِيفُهُ، فَقَالَ: قَمْ يَا عَمَرَ، قَمْ يَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، انطَلَقاً حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِمَا، فَانطَلَقاً فَدَخَلُوا عَمَرَ وَ قَامَ خَالِدٌ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ مِنْ خَارِجٍ، فَقَالَ عَمَرُ لِلزَّبِيرِ: مَا هَذَا السِّيفُ؟ فَقَالَ: نَبَايِعُ عَلَيْهِ، فَاخْتَرَطَهُ (اِنْتَزَعَهُ) عَمَرُ، فَضَرَبَ بِهِ حِجْرًا فَكَسَرَهُ، ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِ الزَّبِيرِ فَاقْمَاهُ ثُمَّ دَفَعَهُ، وَ قَالَ: يَا خَالِدَ دُونَكَهُ فَامْسَكْهُ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: قَمْ فَبَايِعْ لَابِي بَكْرٍ، فَتَلَّكَأَ وَ احْتَبَسَ، فَاحْذَبَ بِيَدِهِ وَ قَالَ: قَمْ، فَأَبَيَ اَنْ يَقُومَ، فَحَمَلَهُ وَ دَفَعَهُ كَمَا دَفَعَ الزَّبِيرَ،

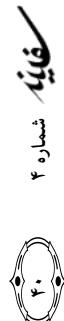
فاخرجه، و لأت (و قعت في شدة) فاطمة ما صنع بها، فقامت على باب الحجرة، و قالت : يا ابابكر ! ما اسرع ما أغرتهم على أهل بيته رسول الله عليه السلام، والله لا اكلم عمر حتى القى الله، قال : فشئ إليها أبو بكر بعد ذلك، و شفع لعمر و طلب إليها فرضيت عنه»^(١)

ثم يستمر في ذكر الأقوال الأخرى و منها قول الشيعة. فلما ينتهي منها يعلق قائلاً : «فاما الامور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من ارسال قنفذ الى بيت فاطمة (س)، و انه ضربها بالسوء فصار في عضدها كالدملج... و ان عمر اضغطتها بين الباب و المدار فصاحت... فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه، و انا هو شيء تنفرد الشيعة بنقله».

ثم انظر الى كلامه في لقب امير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في ج ٤: «تزعيم الشيعة انه خطب في حياة رسول الله عليه السلام بأمير المؤمنين، و خاطبه بذلك جلة المهاجرين و الانصار، و لم يثبت ذلك في اخبار المحدثين، الا انهم قد رروا ما يعطي هذا المعنى و ان لم يكن اللفظ بعينه و هو قول رسول الله عليه السلام له : انت يعسوب الدين، و المال يعسوب الظلم، و في رواية أخرى : هذا يعسوب المؤمنين و قائد الغر المجلين^(٢) و اليعسوب ذكر النحل و اميرها...».

و اما نفيه لعصمة الامام علي عليه السلام، فيقول ابن ابي الحديد في ج ١: ٩٢: «و هذا يقتضي ان العصمة ليست الا للانبياء و الملائكة ، و لو كان الامام يجب ان يكون معصوماً لكان قسماً سادساً، فاذا قد شهد هذا الكلام بصحة ما تقوله المعتزلة في اشتراط العصمة في الامامة، اللهم الا ان يجعل الامام المعصوم داخلاً في القسم الاول ... و فيه بعد و ضعف».

و اما انكاره لوصي رسول الله عليه السلام فيقول في ج ١: ٤: «و دُعى بعد وفاة رسول الله عليه السلام بوصي رسول الله لوصيته اليه بما اراده. و أصحابنا لا ينكرون ذلك، و لكن يقولون أنها لم تكن



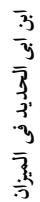
١ - ذكر صاحب كتاب ثم اهتديت في ص ١٣٠ نقاولاً عن الامامة و السياسة لابن قتيبة ج ١، ص ٢٠، و فدك في التاريخ ص ٩٢، خلافاً لما ذكره ابن ابي الحديد، و اليك نص الحديث : و قالت فاطمة لابي بكر و عمر : نشدتكما الله تعالى ألم تسمعوا رسول الله عليه السلام يقول : رضا فاطمة من رضى و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني و من أرضى فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد اسخطني؟ قالا : نعم سمعناه من رسول الله عليه السلام. فقالت : فإني أشهد الله و ملائكته انكمما اسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن أقيمت النتي لأشكونكمما اليه.

٢ - كما جاء ذلك في زيارته عليه السلام.

وصية بالخلافة ، بل بكثير من التجددات بعده أفضى بها إليه عليه السلام».

و اما بالنسبة الى تزويه آدم عليه السلام فيقول ابن ابن الحميد في ج ١ : ٣٤، في معرض تفسيره لقوله عليه السلام : «ثم اسكن سبعانه آدم داراً ... فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلاً ...» يقول ابن أبي الحديد : «ان هذا الكلام من امير المؤمنين عليه السلام تصرح بوقوع المعصية من آدم عليه السلام و هو قوله : فباع اليقين بشكه فا قولكم في ذلك ؟ اما اصحابنا فانهم لا ينتنون من اطلاق العصيان عليه و يقولون: اما كانت صغيرة، و عندهم الصغار جائزة على الانبياء عليه السلام،... و اما الامامية فيقولون : ان النهى كان نهى تزويه لا نهى تحريم، لانهم لا يجزون على الانبياء الغلط و الخطأ، لا كبيراً و لا صغيراً». ثم يستدرك كلامه قائلاً : «و ظواهر هذه الالفاظ تشهد بخلاف قولهم».

و اما بالنسبة الى محل ولادة الامام على عليه السلام، فيقول ابن أبي الحديد في ج ١ : ٥ « و اختلف في مولد على عليه السلام اين كان ؟ فكثير من الشيعة يزعمون انه ولد في الكعبة، و المحدثون^(١) لا يعترفون بذلك، و يزعمون ان المولود في الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبدالعزيز بن قسي».



بين بين :

افرداً هنا العنوان عما قبله لما رأينا يترك العصبية جانبأً، و لربما ذكر بعض الموضوعات لأجل ارضاء الطرفين من الشيعة و السنة، او لاجل سد ثغرة الخلاف بينهما، او لاجل توحيد الصفوف بين المسلمين، او لاجل... فيافق ابن أبي الحديد احياناً بآراء للفرقين و من دون أي تعصب، نذكر منها:

١ - رؤية الامام على عليه السلام عند الموت : قال ابن أبي الحديد في تفسيره، للخطبة ٢٠ في ج ١ : ٩٩: « و يمكن ان يعني به ما كان عليه عليه السلام يقول عن نفسه انه لا يموت ميت حتى يشاهد عليه السلام حاضراً عنه، و الشيعة تذهب الى هذا القول و تعتقد، و تروي عنه عليه السلام شرعاً قاله للحارث الاعور المذانى :

١ - حبذا لو ذكر اسماء بعضهم.

من مؤمن او منافق قبل
 بعينه و اسمه و ما فعلا
 ذريه لا تقربى الرجال
 حبلاً بحبل الوصى متصلأً.
 يا حار همدان من ميت يرني
 يعرفنى طرفه و أعرفه
 اقول للنار و هي توقد للعرض
 ذريه لا تقربيه ان له
 و يستدرك كلامه قائلاً : «و ليس هذا بنكر ان صح انه عليه السلام قاله عن نفسه، ففي الكتاب
 العزيز ما يدل على ان اهل الكتاب لا يموت منهم ميت حق يصدق بعيسي بن مرريم عليه السلام».
 ٢ - خلافة ابي بكر : يقول ابن ابي الحديد في معرض تفسيره للخطبة الثالثة من نهج البلاغة
 المعروفة بالشقشيقية ج ١ : ٥٢ : «اما الامامية الشيعة فتجرى هذه الالفاظ على ظواهرها و تذهب
 الى ان النبي صلوات الله عليه وسلم نص على امير المؤمنين عليه السلام و انه غصب حقه. و اما اصحابنا رحهم الله فلهم
 ان يقولوا : انه لما كان امير المؤمنين عليه السلام هو الافضل و الاحق، و عدل عنه الى من لا يساويه في
 فضل و لا يوازيه في جهاد و علم، ولا يائله سود و شرف، ساغ اطلاق هذه الالفاظ، و ان كان
 من وسم بالخلافة قبله عدلاً تقىاً، و كانت بيته بيعة صحيحة».
 و يستدرك الكلام قائلاً : «فاصحابنا لما أحسنوا الظن بالصحابة و حملوا ما وقع منهم على
 وجه الصواب...» و يستمر خلال الشرح في ص ٥٣ حيث يقول : «فلم يلبثوا ان جاءتهم (الامام
 على عليه السلام و العباس) الاخبار بان الانصار أقعدت سعداً لتباعيه، و ان عمر جاء بابي بكر فباعيه، و
 سبق الانصار باليبيعة».... و يستمر يقول : «و تزعم الشيعة ان رسول الله صلوات الله عليه وسلم كان يعلم موته،
 و انه سير ابابكر و عمر في بعث اسامه لتخلو دار المحرجة منها، فيصفو الامر لعلى عليه السلام، و بيايعه
 من تخلف من المسلمين بالمدينة على سكون و طمأنينة ...»
 هذا وان البحث و التدقير في هذا الامر يستحق ان يكون بمنزلة رسالة دكتوراه، و نحن نكتفى
 بهذا المقدار من الكلام، ارجو ان قد بلغت الى الهدف المنشود. و اخيراً ارى ان الرأى بيد القراء
 الكرام اصحاب الفكر و اهل التقوى كان يحكم له او عليه.
 و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - ابن أبي الحميد، عبد الحميد / شرح نهج البلاغة / مصر / دار الكتب العربية ١٣٢٩ هـ.
- ٣ - ابن أبي الحميد، عبد الحميد / شرح نهج البلاغة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ / بيروت / دار الجميل / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤ - باستان، سيد خليل / الآراء الأدبية و النقدية و الشعرية لابن أبي الحميد / رسالة دكتوراه / ١٣٧٧ هـ. ش.
- ٥ - التيجانى السماوى، محمد / ثم اهتديت / لندن / مؤسسة الفجر.
- ٦ - الحوفى، احمد / ادب السياسة فى العصر الاموى / بيروت / دار القلم.
- ٧ - الحسيني الخطيب، عبدالزهراء / مصادر نهج البلاغة / بيروت / مؤسسة الاعلمى / ط ٢ / ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ٨ - الخوانساري، محمد باقر / روضات الجنات / ط ١ / بيروت / الدار الاسلامية / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٩ - دشتى، محمد / ترجمة نهج البلاغة / ايران / دفتر انتشارات اسلامى / ط ٧ / ١٣٧٩ هـ. ش.
- ١٠ - دين پرور، سيد جمال الدين / ترجمة نهج البلاغة / بنیاد نهج البلاغة / ط ١ / ١٣٧٩ هـ. ش.
- ١١ - شبر، جواد / ادب الطف / بيروت / دار المرتضى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٢ - الشيرازى، سيد محمد / توضيح نهج البلاغة / طهران / دارتراث الشيعة.
- ١٣ - فيض الاسلام، سيد على نقى / ترجمة نهج البلاغة / طهران / مركز نشر آثار فيض الاسلام / ط ١٠ / ١٣٦٥ هـ. ش.
- ١٤ - مبشرى، اسدالله / ترجمة نهج البلاغة / طهران / دفتر نشر فرهنگ اسلامى / ١٣٦٣ هـ. ش.
- ١٥ - المدرسى، محمد تقى / العرفان الاسلامى / ايران / المركز الثقافى الاسلامى / ١٤٠٥ هـ.
- ١٦ - مغنية، محمد جواد / فى ظلال نهج البلاغة / بيروت / دار العلم للملايين / ط ١٩٧٢ / ١ م.